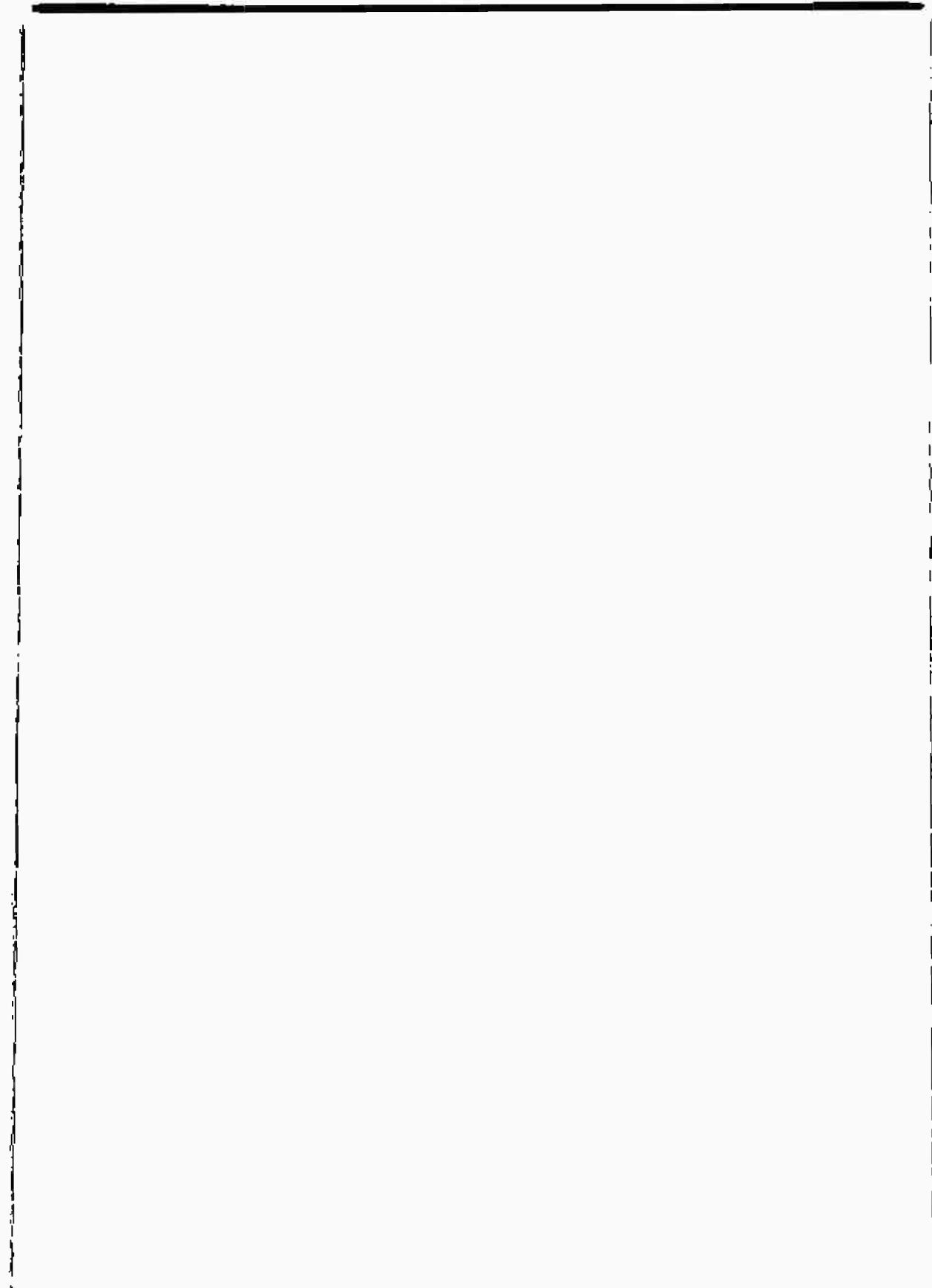


التطهير أم المتعة

اعداد

د. ليلى محمد عبد المنعم



التطهير أم المتعة

ط . ليلًا ملحمًا محبب المنهر

لقد بات مألوفاً أن يذكر الدارسون ، في مستهل حديثهم عن وظيفة
المأساة الاغريقية ، عبارة ارسطو الشهيرة :

" *ἡ δὲ ἐλέου καὶ φόβου περαίνουσα τῶν
τοιοῦτων παθημάτων κάθαρσις* (١)

واقدر نالت تلك العبارة القائلة : " عن طريق الشفقة والخوف تحقق
(المأساة) التطهير من (أحداث) تتصف بمثل هذه الانفعالات " (٢) ،
اهتماماً فائقاً بين الدارسين يعكسه اتفاقهم علي أن وظيفة المأساة هي
التطهير *περαίνουσαν τῶν κάθαρσις* (٣) ، واختلافهم حول تحديد
ملقى التطهير ، أهو المشاهد أم البطل المأسوي ؟ .

فلم يتوسع ارسطو في الحديث عن هذه النقطة مما أدى إلى انقسام
في رأى الدارسين . أحد الآراء يقول إن التطهير ينصب علي المشاهدين لأنه
يهدف إلى الارتقاء بمشاعر الفرد ، إذ أن الأحداث المأساوية عندما تقع أمام
المشاهد تثير في نفسه شعورى الخوف والشفقة فلا يرى فيها ذاته فحسب ،
بل يرى فيها أيضاً الإنسانية جمعاء ، وهو إذاً يشفق علي مصير صنوله في
الإنسانية ، وإن هذا الإشفاق ليس شعوراً فردياً بل شعوراً إنسانياً
عاماً (٤) . ومن هذه الناحية يقول أحد الدارسين أن جوقة المأساة الاغريقية
بوصفها تمثل القاعدة العريضة من المشاهدين ، أو الرأى العام ويوصفها
قريبة من الأحداث الجارية على منصة التمثيل ، فإن ردود أفعالها المتمثلة في
احساسها بالشفقة والخوف ستكون موازية لردود أفعال المشاهدين

واحساسهم بالتطهير (٥) .

أما الرأي المفاير فيتزعمه " إيلس " إذ يقول إن هذا التطهير لا ينصب على المشاهد (أو القارئ) بل هو ينصب على الشخصية المساوية ، لأن عرض سلسلة من الأحداث المساوية أمام المشاهد تثير في نفسه الخوف والشفقة نحو الشخصية المساوية وما تعرضت له ، عندئذ يشعر أن هذه الشخصية قد غدت طاهرة *καθαροῦ* من أفعالها الأثمة (٦) .

ويحسن قبل الإسهام برأينا - المتواضع - في هذا الخلاف ، حول تحديد متلقي التطهير ، أن نعمن النظر في فقرة أخرى من " فن الشعر " تتحدث عن شعوري الخوف والشفقة أيضاً ، اللذين ينتابان المشاهد ويؤديان ، لا إلي التطهير كما في الفقرة السابقة وإنما ، إلي المتعة ؛ يقول أرسطو :

" Ἐπεὶ δὲ τὴν ἀπὸ ἑλέου καὶ φόβου διὰ μιμήσεως
δοῖ ἡδονὴν παρασκευάζειν τὸν ποιητὴν, φανερόν
ὡς τοῦτο ἐν τοῖς πράγμασι χρησιμώτερον. ποῖα οὖν
δοῖν ἢ ποῖα δεικρὰ φαίνονται τῶν συμπεπαιστων δόρ-
ωρον. "(٧)

ونظراً لأنه من واجب المؤلف أن يحقق المتعة الناجمة من الشفقة والخوف عن طريق المحاكاة ، لذا يتضح أن ذلك متضمن في بنيان الأفعال . وعلي ذلك دعونا نقرر ما الذي يبدو مثيراً للشفقة أو الخوف بالنسبة للمشاهدين " .

وليس خافياً أن هذه الفقرة تثير عدة مشاكل ، إذا ما قورنت بسابقتها ، فهي تبين أن واجب الكاتب تحقيق المتعة - لا التطهير - وأن الشفقة والخوف

يثير أن المتعة - لا التطهير - وأن المشاهد يشعر بتلك المتعة . ولعل من الأصوب أن نتناول بالمناقشة ما تنفق حوله الفقرتان قبل أن نتناول ما تختلفان فيه . تنفق الفقرتان في ضرورة توفر شعوري الشفقة والخوف سواء أديا إلى تطهير أم متعة .

نلاحظ أن أرسطو قد حدد مبعث هذين الشعورين : الخوف (٨) والشفقة في عبارة صريحة تقول " الشفقة لمن لا يستحق (التعاسة) أما الخوف فمن أجل المماثل (لنا) " :

"ὁ δὲ λῆσος μὲν περὶ τὸν ἀναξίον, φόβος δὲ περὶ τὸν ὁμοίον" (٩)

أما الشخصية التي يثير مصيرها الخوف والشفقة فلها طبيعتها المحددة ، فهي في رأي أرسطو يجب ألا تكون خيرة تماماً أو شريرة صرفة بل في منزلة بين هاتين المنزلتين ، وأن تحل بها المصائب وتتردى في هوة الشقاء واللوم فيها أو خسة بل لسوء تقدير أو عثرة رأى كبيرة أو خطأ $\mu\epsilon\tau\epsilon\alpha$ (١٠) ، غير متعمد قد وقعت فيه . ومعني ذلك أن إثارة الشفقة هي نتيجة لما حل بالشخصية الرئيسية من آلام وشقاء لا تستحقها $\delta\iota\alpha\lambda\epsilon\iota\sigma$ ، أما الخوف فلأن هذه الشخصية شبيهة بنا $\sigma\iota\mu\iota\omega\delta\epsilon\iota$ ، أي أنها تماثل الإنسان تماماً في جميع النواحي والوجوه سلوكاً وفعلاً . ولهذا فإننا نشعر بالخوف عندما نتصور أنفسنا في نفس موقفه .

ولدينا من بين شخصيات المأساة الإغريقية -- مثالان يلقيان الضوء علي هذه النقطة بالتحديد ، وهما أويدييوس - في مأساة أويدييوس ملكاً - وكليتمسترا في مأساة أجاممنون . فنحن نشعر بالخوف والشفقة إزاء مصير أويديب الأليم لأنه ناجم عن خطأ غير مقصود ، ولأننا نشعر بأننا

قريبين منه ، وأتينا عرضة لتجربته ، بينما لا تثار فينا تلك المشاعر تجاه مصير كليتمنسترا القاسى لأن خطأها متعمد ، أى أن جزأها من أصل عملها ، فضلاً عن إتنا نشعر بأننا لا نشترك معها في صفاتها ، بل نشعر بأننا بعيدون عنها .

ويعد أن بيّنا مبعث شعوري الخوف والشفقة - في رأى أرسطو -
ننتقل إلى تناول إحدى المشكلات التي تثيرها فقرة ارسطو السابقة وهي أن
الخوف والشفقة يؤديان إلى الشعور بالمتعة (١١) . ولتوضيح هذه الإشكالية
نقول أن البكاء رغم كونه شيئاً مؤلماً ، فإنه - في بعض الأحيان - مدعاة
للإحساس بالمتعة ، أو الإرتياح ، إذا كان استجابة لآلام جسمانية أو نفسية ،
فاخيلبيوس ، علي سبيل المثال ، قد شعر بالمتعة ، أو بالإرتياح ، عندما
انخرط في البكاء بعد مصرع صديقه الحميم باتروكلوس (١٢) . ويقول
افلاطون أن مشاهد المأساة الإغريقية يشعر بالمتعة عندما يدفعه الخوف إلى
البكاء (١٢) .

إنطلاقاً من ذلك المفهوم ، هل يتعارض معنى التطهير مع المتعة ؟ . إن
التطهير يتفق - في تقديرنا - مع المتعة في أنه نوع من الإحساس بالراحة
أو الخلاص مما يعترى النفس من نوازع أئمة ، وليس التطهير من الجريمة .
فالشخصية المأساوية مصيرها محتوم بمعنى أنها فيما تقوم به أو تعانيه من
أحداث في المأساة ليست إلا جزءاً من التراث الذي حدد مصيرها قبل أن
تتناولها المأساة . ومن هنا فإن الشخصية المأساوية لا تظهر ولكنها فيما تقوم
به أو تعانيه تُشعر الغير بالراحة أو الخلاص - بالتطهير أو المتعة - وهذا
الغير ليس إلا جمهور المشاهدين .

ولما كان التطهير أو المتعة يتحققان عن طريق الخوف والشفقة وهما شعوران يُثاران في نفس المشاهد أو القارئ، كما قدمنا ، فإن المشاهد أو القارئ - وليس البطل المأمأوى - هو الذي يحظى بالتطهير أو المتعة ، فذلك أقرب إلي طبيعة المأساة باعتبارها فناً إنسانياً مرتبطاً بقضايا الإنسان (١٤) ، والمجتمع (١٥) . كما أن المأساة لا تهتم بالشخصيات كأفراد فحسب ، وإنما الشخصيات في الشعر - ومنه المأساة - رموز لنماذج إنسانية كلية (١٦) ، أي نماذج إجتماعية .

فإذا كان التطهير لا يختلف عن المتعة بالمفهوم الذي قَدَّمْتُهُ ، فهل يمكن القول أن وظيفة المأساة هي التطهير أم المتعة ، أم الاثنين معاً ؟ . لعلنا نذكر أن أرسطو يقول في الفقرة الأولى (١٧) أن وظيفة المأساة هي تحقيق التطهير ، ثم يقول في الفقرة الثانية (١٨) ، أن واجب المؤلف تحقيق المتعة ، فهل يوجد اختلاف بين العبارتين سواء في استخدام كلمة المأساة مرة والمؤلف مرة أخرى في حين إنهما يدلان علي شيء واحد ، أو هما وجهان لعملة واحدة .

ونضيف إلى ما تقدم - عن التطابق بين التطهير والمتعة - دليلين ارسطيين آخرين أحدهما من كتابه الأخلاق النيقوماخية (١٩) ، حيث يقول أن الفعل الجاد *σπουδαίος* يحقق المتعة ، ثم يقول في فن الشعر أن المأساة - التي يصفها بأنها محاكاة لفعل جاد - تحقق التطهير (٢٠) .

أما الدليل الآخر فنجده في السطور الأخيرة من كتابه فن الشعر حيث يقول ، في حديثه - مرة أخرى - عن وظيفة المأساة ، " يجب أن تحقق (المأساة) المتعة " *δὲ τῆς ἡδονῆς ποιεῖν* (٢١)

وأخيراً أرجو أن أكون قد أسهمت في إجلاء وظيفة المأساة بوصفها فناً إنسانياً إجتماعياً يصور أحداثاً منسأوية من شأنها أن تثير إنفعالات المشاهد أو جمهور المشاهدين وهم المواطنون الأغررق الذين كانوا يفشون المسرح الأغررقى مدفوعون بعقيدتهم الدينية وتعلقهم بالتراث البطولي لمشاهدة ماقام به أبطالهم وماقاسوه من أحداث منسأوية حيث تحقق لهم المشاهدة تطهيراً أو متعة من نوع خاص ، وهذه هي وظيفة المأساة الحققة التي تهز النفوس بمحاكاتها للفعل وتعمل عملها فيها بغير طريق الوعظ والإرشاد .

حواشي البحث

Arist., Poet., 1449 B. 27 - 28. (١)

(٢) - تمت بإضافة بعض الكلمات بين الأقواس محاولة إجلاء الغموض عن هذه العبارة التي اختلف الدارسون في ترجمتها . ففى ترجمة " بوتشر " :

Butcher, S. H., Aristotle's theory of Poetry and Fine Art, with a Critical Text and Translation of The Poetics, Fourth Edition (London, 1907), p. 240.

نقرأ قوله :

"Through pity and fear effecting the proper "Katharsis", or purgation of these emotions".

ويتضح من ترجمته أن التطهير عنده " من هذه المشاعر " أى من الخوف والشفقة ، في حين أن هذين الشعورين هما أدوات تحقيق التطهير ، كما سنوضح فيما بعد .

أما في ترجمة " إيلس " :

Else, G. F., Aristotle's Poetics : The Argument (Cambridge Univ. Pr., 1957), p. 221.

فنقرأ قوله :

"Through a course of events involving pity and fear, the purification of these painful or fatal acts which have that quality".

ونحن نميل إلى ترجمة " إيلس " في ربطه بين شعوري الخوف والشفقة وبين الأفعال ، ومما يدعم موقفنا أن أرسطو - نفسه - يعبر

عن هذه النظرة في أكثر من فقرة من فن الشعر ، ففي فقرة ١٤٥٢
١ - ٤ يقول : " إن المأساة محاكاة لأفعال تتضمن الخوف والشفقة "
، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ٣١ - ٣٢ يقول : " يجب أن تكون (المأساة)
محاكاة تتضمن خوفاً وشفقة ، لأن هذا هو الغرض من المحاكاة التي
من هذا النوع " ، وفي فقرة ١٤٥٢ ب ١ - ٧ يقول : " إن هذين
الإنفعالين يوجدان في بنيان الأفعال وحده " .

وجدير بالذكر أن أرسطو قد تناول موضوع التطهير في كتابه
السياسة (Polit., 8. 1449B 32ff.) غير أنه ربط بينه وبين الموسيقى
بوصفها تثير مشاعراً تؤدي إلى تحقيقه .

Golden, L., "Catharsis" TAPHA, 93, 1962, pp. 51 - 60. (٢)

....., " The Clarification Theory of Katharsis",
Hermes, 104, 1976, pp. 437 - 452.

Somville, P., Essai Sur La Poétique D'aristote (Paris, 1975) 78
- 95.

Bennet, K., "The Purging of Catharsis, British Journal of
Aesthetics, 21, 1981, pp. 204 - 213.

(٤) - ابراهيم (د. محمد حمدي) ، دراسة في نظرية الدراما الإغريقية
(دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٧) ص ٣١ ، ٩٨ .

Butcher, S. H., op. cit, pp. 262 - 263 & 266 - 267.

Hirsh, Eric. D., "Privileged Criteria In Literary Evaluation"
Problems of Literary Evaluation, Ed. Joseph Strelka
(Univ. Park, Pa : Pennsylvania St. Univ. Pr., 1909)
p. 32.

- Robertson, Durant. W., A preliminary survey of The Controversy Over Aristotle's Doctrine of Tragic Catharsis (Chapel Hill : Univ. of North Carolina, 1937) pp. 182 - 183. (٥)
- Else. G. F., op. cit., pp. 437 - 438. (٦)
- Arist., Poet., 1453B 11 - 15. (٧)
- الخوف هنا لا يمثل الرعب والفرع ! إنه مجرد الشعور بالخشية . وهذا واضح من نقد أرسطو (Poet. 1453B 8 - 10) الذي يوجهه إلى الشعراء الذين يهدفون إلى إثارة الخوف عن طريق المشاهد المرعبة. *εὐκρίστῃ* حيث يقول أن مثل هؤلاء الشعراء ليسوا شعراء مأساة علي الإطلاق . (٨)
- Arist., Poet., 1453A 5 - 6 . (٩)
- Ibid., 1452B 34 - 38, 1453A 17 - 18. (١٠)
- وقد عرّف أرسطو هذا اللفظ في مؤلفين آخرين :
- (Rhet., 1374B 16, E. N., 1135B 12, 18.)
- بأنه " خطأ لا يصدر عن شر متعمد " بمعنى أن صاحبه ليس شريراً بطبيعته .
- ويرى بعض الدارسين المحدثين أن ذلك اللفظ يعني الجهالة أو الاخفاق في الإدراك السليم . انظر :
- Wimsatt (William. K.) & Brooks (Cleanth). Literary Criticism, A short History (New York, 1957) p. 39.
- Else. G. F., op. cit, pp. 383 - 384.

- (١١) - راجع حاشية ٧ .
- (١٢) Hom., IL. 24. 513.
- (١٣) PL., Philebus, 47E - 48A.
- (١٤) - يذكر باورا (Bowra, C. M., Landmarks in Greek Literature, Pelican, 1966) p. 201
- أن المأساة تبحث في قضايا السلوك الإنساني .
- (١٥) - حول صلة فن المأساة بالمجتمع انظر :
- Snell, Bruno, Poetry and Society, The Role of Poetry in Ancient Greece (Indian Univ. Pr., 1961) pp. 72 - 90.
- (١٦) Arist., Poet., 1951B 8 - 10.
- ويعتبر استخدام القناع في المأساة الإغريقية القديمة دليلاً واضحاً على عموميتها ، ويعدّها عن تصوير الشخصيات كأفراد جزئيين ، انظر :
- Bowra, C. M., Op. cit., p. 157.
- (١٧) - انظر حاشية ١ .
- (١٨) - انظر حاشية ٧ .
- (١٩) Arist. E. N., 1174B 20 - 23.
- (٢٠) Arist. Poet., 1449B 24 - 28.
- (٢١) Ibid., 1462B 13.